قَدِّمُوْا أَكْثَرَكُم قُرآنـاً!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

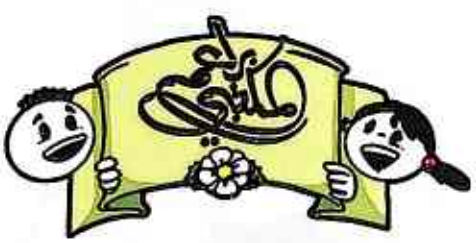

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف: 00963112248433 فاكس: 00963112248432 ص.ب: 31426

الشارقة هاتف: 0097165512262 فاكس: 0097165512264 ص.ب: 3309

Email:almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

* «قَدِّمُوا أَكثرَكُمْ قُرآنـاً» *

حَرِصَ الصَّحَابَةُ الأَكَارِمُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ وعُلُومِهِ ، لَكِنَّ العَجيبَ في الأَمْر أَنَّ غَالِبيةَ صِغَارِ الصَّحَابَةِ تَنَافَسُوا في ذَلِكَ ، والأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصىٰ ، لَكِنْ وَعَلَى سَبيل المِثَالِ لا الحَصْرِ:

الصَّحَابيُّ الجَليلَ البَراءُ بنُ عَازِبٍ ، لَمْ يَتَجاوَزْ العَاشِرَةَ مِنْهُ ، وتَرَاهُ يُصرِّحُ بالقَوْلِ: لَمْ يَقدم عَلَيْنَا رسَوُلُ اللهِ صَلَّىٰ الله عليهِ وسلَّمَ حَتَّىٰ قَرَأْتُ سُورَاً مِنَ المُفَصَّل!!

وَكَذلِكَ كَانَ الصَّحابيُّ الصَّغيرُ زَيدٌ بنُ ثَابتِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، حَيْثُ كَانَ حَريصَاً عَلَى تَعَلُّمِ القُرْآنِ الكَريمِ وعُلُومِهِ.

وَذَاتَ يومٍ جَاءَ قَوْمُهَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عليه وسلَّمَ مفاخرينَ بَمَا حَصَّلَ صاحبُهم زَيْدُ ، وفي ذَلِكَ يَقُولُ زَيْدُ رَضِي اللهُ عَنْهُ:

جَاءَ قَوْمي النبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالُوا: هَذَا غُلاَمٌ مِنْ بَني النجَّارِ ، مَعَهُ مما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَة سَورةً ـ أَيْ يَحْفَظُ مِنَ القُرْآنِ عَشْرَ سُوَرٍ ـ فأَعْجَبَ ذَلِك النَّبيَّ صَلَّىٰ الله عليهِ وسَلَّمَ ، وقَالَ: «يا زَيْدُ! تَعلّمْ لي كتابَ يَهوْدٍ ، ـ أَيْ: تَعلَّمْ لي لُغَتَهم وأَحْرُفَها وذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قِراءَةَ رَسائِلهم وكتابَةِ إِجَابَاتٍ عَنْها ـ فإِنَّي واللهِ ما آمَنُ يَهُوداً عَلَى كِتَابي».

قَالَ زَيْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَتَعَلّمْتُ كِتَابَهُم ما مَرّتْ بي خَمْس عَشْرَةَ ليلةً حَتَّىٰ حَذِقْتُهُ ، وَكُنْتُ أَقْرأُ لَهُ كُتبَهُم إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ ، وأُجِيْبُ عَنْهُ إِذَا كَتبَ. وَقَريباً مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ في تَرْجَمَةِ الصَّحَابِي عَمرو بنِ سَلْمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَدْ كَانَ حرَيصَاً عَلَى تَلقّي القُرْآنِ والاسْتفسارِ عَنْهُ وحِفْظِهِ ونَحْوِ ذَلِكَ ، وكانَ مازَالَ صَغيراً!!

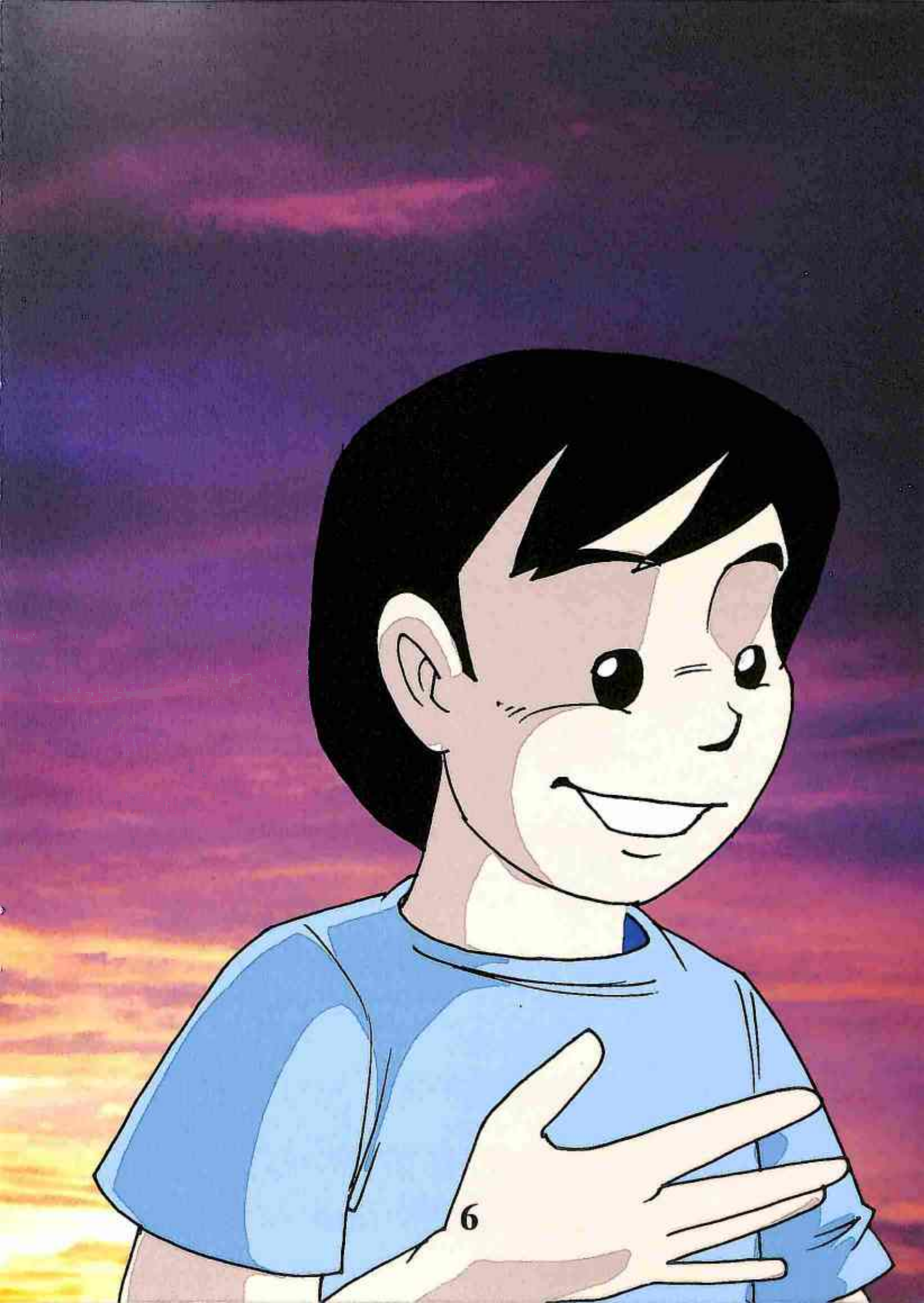

أَخْرَجَ ابنُ حَنْبَلٍ في المُسْنَدِ عَنْ عَمْرو بنِ سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ:

كُنَّا عَلَىٰ حاضِرٍ فكانَ الرُّكْبانُ يمرّونَ بنا رَاجِعِيْنَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عليه وسَلَّم فأدْنُو ـ أَيْ: أَقْتَرِبُ ـ مِنْهُمْ ، فأسْمع حَتَّى حفظتُ قُرْآناً!!

قَالَ: وكَانَ النَّاسُ يَنْتَظِرُوْنَ بِإِسْلاَمِهم فَتْحَ مَكَّةَ ، فلَّما فُتِحَتْ جَعَلَ الرَّجُلُ يأتيهِ فَيَقُولُ: يا رسُولَ اللهِ!! أَنَا وافدُ بَنِيْ فُلاَنٍ وَجِئْتُكَ بِإِسْلامِهم ، فانطَلَقَ أبي بِإِسْلامِ قَوْمِهِ ، فرَجَعَ إِليهِمْ.

قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عليه وسلَّمَ: «قَدِّمُوا أَكْثَرَكُمْ قُرْآناً».

قَالَ: فَنَظَرُوا وإِنِّي لَعَلى حَواءٍ عَظِيْمٍ ـ أَيْ: عَلَى بُيُوتٍ مُجْتَمِعَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ ـ فَمَا وَجَدُوا فِيْهِمْ أَحَداً أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي ، فقدّمُوْنِيْ وَأَنَا غُلاَمٌ!! ومِثْلُهُ مَا وَرَدَ في تَرْجَمةِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، حَيْثُ أَخْرَجَ البُخاريُّ عَنْ ابنِ عبَّاسٍ قَالَ: تُوفي رسُولُ اللهِ

صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وأَنَا ابنُ عَشْرِ سِنينَ وقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَم ـ أَيْ المُفَصّل مِنَ القُرْآن ـ.

وأَخْرَجَ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلاَّنِيُ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّه قَالَ: سَلُوْنِيْ عَنِ التَّفْسِيْرِ ، فإِنَّي حَفِظْتُ القُرْآنَ وأَنَا صَغِيرٌ!!

* لَقَـدْ أَحْسَنْتَ المَثَـل!! *

وهَذِهِ حِكَايَةٌ مُفيدةٌ ، تَدُلُّ عَلَى ذكاءِ إِيَاسِ بنِ مُعَاوِيَةَ ، وكَانَ صَغِيْراً بَعْدُ ، والحِكَايَةُ فِيْها مِنَ الدُّرُوْسِ والعِبَرِ والعِظَاتِ الشَّيءُ الكَثيرُ:

لَمّا دَخَل الخليفَةُ المهديُّ البَصْرةَ ، رَأَىٰ إِيَاسَ بنَ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مَا زَالَ صَبِيّاً ـ وخَلْفَهُ أَرْبَعُمِئَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ والأُدْباءِ ، وإِياسٌ يتَقَدَّمُهُمْ ، فقالَ المهديُّ: أَمَا كَانَ فِيْهِمْ شَيْخٌ يَتَقَدّمُهُمْ غَيْرَ هذا الحَدَثِ؟

ثُمَّ إِنَّ المَهْدِيَ الْتَفَتَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ: كَمْ سِنُّكَ يا فَتَىٰ؟

فَقَالَ إِيَاسٌ: سِنّي ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الأَميرِ ـ سِنُّ

أُسَامَةَ بنِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا ولاهُ رسَوُلُ اللهِ صَلَّىٰ الله عليه وسلَّم جَيْشَاً فيهم كِبارُ الصّحَابَةِ كأبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُما.

فَقَالَ المَهْديُّ: تَقَدَّمْ بارك اللهُ فِيْكَ!

وقال أَبو الحَسَن ـ وهُوَ يتحدَّثُ عَنْ ذَكَاءِ إِيَاسٍ ومُنْذُ الصِّغَرِ ـ: كانَ إِيَاسُ بنُ مُعَاوِيةَ ، وهُوَ صَغِيْرٌ ، ضَعِيْفاً دَقِيْقَاً ذَمِيْمَاً ، وكَانَ لَهُ أخٌ أشدُّ حَرَكةً مِنْهُ وأَقْوَى.

لذلكَ كَانَ أَبوهُ مُعَاوِيةُ يقدِّمُهُ عَلَى إِيَاسٍ ، فَقالَ إِيَاسُ يَوْمَاً: يا أبتِ!! إِنّكَ تُقَدِّمُ أَخِيْ عَلَيَّ ، وسَأَضْرِبُ لَكَ مَثَلِيْ وَمَثَلَهُ:

هو مِثْلُ الفَروجِ حِيْنَ تَنْفَلِقُ عَنْهُ البَيْضَةُ ، يَخْرُجُ كَاسِياً كَافياً نَفْسَه ، يَلْتَقِطُ وَيَسْتَخِفُّهُ النَّاسُ ، وكُلَّما كَبِرَ انتقصَ ، حَتَّىٰ إِذَا تَمَّ ، فَصَارَ دَجَاجَةً لَمْ يَصْلُحْ إلاَّ للذَّبْحِ!!

وأَنَا مِثْلُ فَرْخِ الحَمَامِ ، حِيْنَ تَنْفَلِقُ عَنْهُ البَيْضَةُ ،

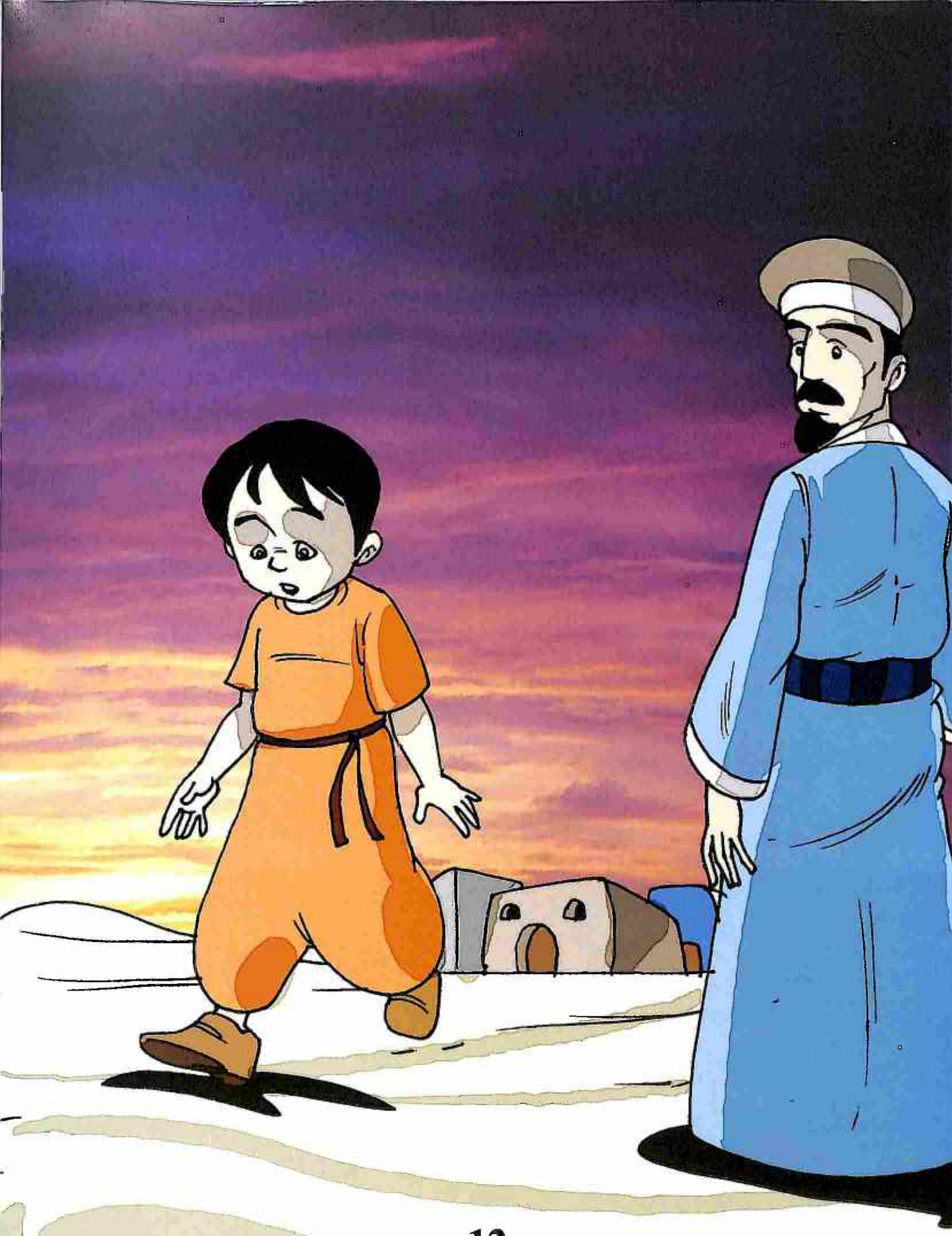

عَنْ سَاقِطٍ لا يَقْدِرُ عَلَى حَرَكَةٍ ، فأبَواه يُغَذيَانِهِ حَتَّىٰ يَقْوَىٰ وَيَثْبُتَ رِيشُهُ ، ثُمَّ يُحْسِنُ بَعْدَ ذَلِكَ ويَطيرُ ، فَيَجُد بِهِ النَّاسُ ويُكْرِمُوْنَهُ ، ويُرْسَلُ مِنَ المَواضِعِ البعيدةِ فَيجيءُ ، فيُصَانُ لذلِكَ ويُكْرَمُ ، ويُشْتَرىٰ بالأَثْمَانِ الغَاليةِ!!

فَقالَ الأَبُ: لَقَدْ أَحْسَنْتَ المَثَل يا إِيَاسُ ، وقدَّمَهُ عَلَى أَخِيْهِ فوجَدَ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِمّا كَانَ يُظُنُّ فِيْهِ.

* إِلى بَيْتِ ربّي عزَّ وَجَلَّ *

وَهَذِهِ حِكَايةٌ رَائعَةٌ ، تَدورُ أَحْداثُها فِيْ البَادِيةِ ، ومِحْوَرُهَا ذَكَاءُ طِفْلٍ لَمْ يَبْلغِ الحُلْمَ بَعْدُ ، وهِيَ مِنْ مَرْوِيَّاتِ فَتْحِ بنِ سَعِيْدٍ رَحِمَهُ الله ، قَالَ:

رَأَيْتُ بِالبَادِيَةِ غُلامَاً لَمْ يَبْلُغِ الحُلْمَ ، وهُوَ يَمْشِي وَحْدَهُ ، ويُحَرّكُ شَفَتَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَليَّ السَّلامَ.

فقلتُ: إِلَى أَيْنَ؟

قالَ الغُلامُ: إِلَى بَيْتِ ربي عزَّ وجَلَّ.

فَقُلْتُ: بِمَاذا تُحَرّكُ شَفَتَيْكَ؟

قَالَ: أَتْلو كَلاَمَ رَبِّيْ.

فَقُلْتُ: إِنَّه لَمْ يَجْرِ عَلَيْكَ قَلَمُ التَّكالِيْفِ ـ أَيْ: أَنَّكَ مَا زِلْتَ صَغِيْراً ـ.

قَالَ الغُلاَمُ: رَأَيْتُ المَوْتَ يَأْخُذُ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ سِنّاً مِنِّيْ!

فَقُلْتُ: خُطَاكَ قَصِيْرَةٌ وَطَرِيْقُكَ بَعِيْدَةٌ.

قَالَ: إِنَّما عَليَّ نَقْلُ الخُطَا وَعَلَيْهِ البَلاغُ!

فَقُلْتُ: أَيْنَ الزّادُ والرَّاحِلَةُ؟

قَالَ: زَادِيْ يَقِيْنِيْ ، وَرَاحِلَتِيْ رِجْلايَ!

فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ عَنِ الخُبزِ والمَاءِ.

قَالَ: يا عَمَّاهُ!! أَرَأَيْتَ لو دَعَاكَ مَخْلُوْقٌ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ ، أَكَانَ يَجْمُلُ بِكَ أَنْ تَحْمِلَ زَادَكَ إِلَى مَنْزِلِهِ؟!

فَقُلْتُ: لاَ.

قَالَ: إِنَّ سَيِّدِيْ ـ ويِقْصِدُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى دَعَا عِبَادَهُ إِلَى زِيَارَةِ البَيْتِ الحَرَامِ ـ دَعَا عَبَادَه إِلَى بَيْتِهِ ، وأَذِنَ لَهُمْ فِيْ زِيَارَتِه ، فَاسْتَقْبَحْتُ أَنْ أَحْمِلَ زَادِيْ ، وَحَفِظْتُ الأَدَبَ مَعَهُ ، أَفَتَرَاهُ يُضَيِّعُنِيْ؟

فَقُلْتُ: حَاشَا وكلاَّ ، ثُمَّ تَابَعَ طَرِيقَهُ حَتَّى غَابَ عَنْ بَصَرِيْ.

* * *